

الرَّسَالَةُ ٣٠٦

لِيَقُلُ الضَّعِيفُ بَطْلًا أَنَا

(Arabic – Let the weakling say, "I am strong")

أحبائي.. حديثنا اليومَ مَوْضُوعُهُ: لِيَقُلُ الضَّعِيفُ بَطْلًا أَنَا

ومن سفر يُوثِيل الأصْحاح الثالث نقرأ العددين التاسع والعاشر:

"تأدوا بهذا بين الأمم. وتأهبوا للحرب احشدوا أبطالكم. ليتقدم ويصعد جميع رجال القتال. أترقوا سيكح محاربتكم وحوّلوها إلى سيوفٍ ومناجلكم إلى رماح. ليقُل الضَّعِيفُ إنِّي جَبَّارٌ قِتال".^١

إن تلك العبارة التي وردت بسفر يُوثِيل الأصْحاح الثالث تشجع كل من يشعر بضعفه حتى يكون واثقاً مؤمناً أنه كالطود الثابت الشامخ الذي يقف صامداً لا يتزعزع. بل يستطيع الضَّعِيفُ بإيمانه الوثاق أن يقول مؤكداً أنه واحدٌ من الجبابرة الأبطال. ويشدو مرتباً مع داود النبيّ مُشيداً كلماته التي جاءت بمزموره السابع والعشرين: "الربُّ نوري وخلصي ممن أخاف؟. الربُّ حصن حياتي ممن أرتعب؟ إن نزل على جيش لا يخاف قلبي. إن قامت على حربٍ ففي ذلك أنا مطمئن". ولأننا بصدد معارك رُوحية تواجهنا مع العدو كل يوم فنحن في حاجة ماسة إلى نصِّ كهذا: "ليقل الضَّعِيفُ إنِّي جَبَّارٌ قِتال". لنستد عليه فنشجع. ولا نخشى سهام الشرير الملتهبة.^٢

لا يستطيع الضَّعِيفُ أن يقول بطلًا أنا وهو لا يملك ما يؤهله للبطولة. لا يمكنه أن يقول ذلك من فراغ وإلا كان ادعاءً منه. أو أنه يرتبني فوق ما ينبغي أن يرتبني. لقد كتب بولس الرسول في رسالته إلى مؤمني رومية الأصْحاح الثاني عشر يقول: "فإني أقول بالنعمة المعطاة لي لكل من هو بينكم. أن لا يرتبني فوق ما ينبغي أن يرتبني. بل يرتبني إلى التعقل كما قسم الله لكل واحدٍ مقدراً من الإيمان". ولكن لا يجوز أن نسمح لإبليس أن يحاورنا أو يناقشنا في موضوع قوة وفاعلية الإيمان الذي يضافه أننا به نسلك. فبرسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمني كورنثوس الأصْحاح الخامس يقرر الحقيقة وهي: "أنا بالإيمان نسلك لا بالعيان". وقد وعدنا الربُّ يسوع بإنجيل متى قاتلاً: "الحق أقول لكم لو كان لكم إيمانٌ مثل حبة خردل. لكنتم تقولون لهذا الجبل انقل من هنا إلى هناك فينتقل. ولا يكون شيءٌ غير ممكن لديكم". بالإيمان يستطيع الضَّعِيفُ أن يقول بطلًا أنا.^٣

المؤمن بطلٌ وإن كان ضعيفاً في ذاته. فهو جَبَّارٌ قِتال في صراعه الروحي. لقد كتب بولس الرسول في رسالته إلى مؤمني أفسس يقول: "البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدرُوا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس فإن مصارعنا ليست مع دم ولحم. بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر. مع أجناد الشرِّ الروحية في السماويات. من أجل ذلك احمِلوا سلاح الله الكامل لكي تقدرُوا أن تقاوموا في اليوم الشرير". إن المؤمن يحمل سلاح الله الكامل لذلك هو قادرٌ على المقاومة كجبارٍ قِتال. وبالتأمل في موضوع البطولة. سنجدُ إجابةً لتساؤلاتنا عن كيفية حصول الضَّعِيفِ على ما يؤهله ليكون بطلاً جَبَّاراً قِتالاً. ونوجزُ تأملاتنا في ثلاثة أمور:

أولاً: البطولة تأتي باستخدام الله لعبده ليُنجز عمل الله.. وليس باستخدام العبد لنفسه ليستأنف عملاً ما. يراه هو لمجد الربِّ بأذلاً مجهوداً ذاتياً. دون رؤيةٍ واضحةٍ من الربِّ. إن جميع أبطال الإيمان الذين ورد ذكرهم بالكتاب المقدس دعاهم الله. وأهلهم وكلفهم برسالةٍ معينةٍ وأطاعوا. فأيدهم الربُّ بقوةٍ وصنع بهم قواتٍ وعجائب. أمثال نوح وإبراهيم وغيرهما كثيرٌ بالعهد القديم. وبالمثل في العهد الجديد مع تلاميذ الربِّ يسوع. وما زالت دعوة الله مستمرةً لقيديسيه إلى يومنا هذا. ويسجل الوحي بسفر إشعياء الأصْحاح السادس أن الربِّ تراءى له داخل

^١ سفر يُوثِيل ٣: ٩ - ١٠ [النص من كتاب الحياة الطيبة الرابعة ١٩٩٤] ، استمع إلى الإنجيل

^٢ سفر المزمير ٢٧: ١ & ٣

^٣ رسالة بولس الرسول إلى مؤمني رومية ١٢: ٣ ، ورسالته الثانية إلى مؤمني كورنثوس ٥: ٧ ، إنجيل متى ١٧: ٢٠

^٤ رسالة بولس الرسول إلى مؤمني أفسس ٦: ١٠ - ١٣

الهيكل فكتب يقول: "رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ وَأَنْبِيَاءُهُ تَمَلُّوا هَيْكَلِي. السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ فَوْقَهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ سِنَةٌ أَحْيَاةٍ بَاتْنَيْنِ يُعْطَى وَجْهَهُ. وَبَاتْنَيْنِ يُعْطَى رِجْلَيْهِ وَبَاتْنَيْنِ يَطِيرُ وَهَذَا نَادَى ذَلِكَ وَقَالَ: قَدْوَسُ قَدْوَسُ قَدْوَسُ رَبُّ الْجَنُودِ مَجْدُهُ مَلَأَ كُلَّ الْأَرْضِ. فَقُلْتُ: وَيَلَّ لِي إِيَّيْهِ هَلَكْتُ! لِأَنِّي إِنْسَانٌ نَجَسْتُ الشَّقَاتِينَ وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجَسْتُ الشَّقَاتِينَ. لِأَنَّ عَيْنِي قَدْ رَأَتَا الْمَلِكَ رَبَّ الْجَنُودِ. فَطَارَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنَ السَّرَافِيمِ وَبِيَدِهِ جَمْرَةٌ قَدْ أَخَذَهَا بِمَلْقَطٍ مِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ وَمَسَّ بِهَا فَمِي. وَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ قَدْ مَسَّتْ شَفَتَيْكَ فَانْتَرَعَ إِيْمَكَ وَكَفَّرَ عَنْ خَطِيئَتِكَ. ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتِ السَّيِّدِ قَائِلًا: مَنْ أُرْسِلُ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟. فَقُلْتُ هَانَذَا أُرْسِلْنِي". إِنَّ الَّذِي يَسْتَعِدُّهُ الرَّبُّ بَطْلًا جِبَارًا قِتَالًا إِذَا تَوَفَّرَتْ فِيهِ شُرُوطُ ثَلَاثَةِ تَوَفَّرَتْ فِي إِشْعِيَاءَ. (١) إِحْسَاسُهُ بِضَعْفِهِ وَبِنَجَاسَتِهِ.. (٢) اعْتِرَافُهُ بِهِمَا أَمَامَ اللَّهِ.. لِيُنَالَ مِنْ لَدُنْهِ غَفْرَانًا وَتَطْهِيرًا. (٣) اسْتِعْدَادُهُ لِتَلْبِيَةِ دَعْوَةِ اللَّهِ لِيَكُونَ طَوْعَ أَمْرِهِ.^١

ثانياً: الْحَصَادُ كَثِيرٌ وَالْأَبْطَالُ قَلِيلُونَ.. لَقَدْ جَاءَ بَانَجِيلُ مَتَى الْأَصْحَاحُ التَّاسِعُ قَوْلَ الرَّبِّ يَسُوعَ لِتَلَامِيذِهِ: "الْحَصَادُ كَثِيرٌ وَلَكِنْ الْفَعْلَةُ قَلِيلُونَ فَاطْلُبُوا مِنْ رَبِّ الْحَصَادِ أَنْ يُرْسِلَ فَعْلَةً إِلَى حَصَادِهِ".. نلاحظ هنا ثلاثة أمور هامة: (١) وَاجِبْنَا أَنْ نَرْفَعَ طِلْبَاتٍ إِلَى اللَّهِ لِئُرْسِلَ فَعْلَةً لِيَنْشُرُوا الْأَخْبَارَ السَّارَةَ.. (٢) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَخْتَارُ الْفَعْلَةَ.. وَيُعِدُّهُمْ وَيُوهِلُّهُمْ وَيُرْسِلُهُمْ. وَيُوِيذُهُمْ بِالْقُوَّةِ لِيَكُونَ كُلُّ مِنْهُمْ بَطْلًا جِبَارًا قِتَالًا. صَانِعًا بِهِمْ بِقُوَّتِهِ عَجَائِبَ. (٣) الْحَصَادُ الْمَذْكُورُ هُوَ حَصَادُ الرَّبِّ.. وَحَصَادُ الرَّبِّ لَا يَتَّبِعُ طَائِفَةَ مُعَيَّنَةٍ وَلَا خَادِمًا مُعَيَّنًا بَلْ يَتَّبِعُونَ الرَّبَّ لِأَنَّهُمْ حَصَادُهُ.^٢

لَقَدْ خَاطَبَ بُولُسُ الرَّسُولُ مُؤْمِنِي أفسُسَ فِي رِسَالَتِهِ إِلَيْهِمُ الْأَصْحَاحِ الثَّانِي قَائِلًا: "لَأَنَّنا نَحْنُ عَمَلُهُ. مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ قَدْ سَبَقَ اللَّهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ تَسْلِكَ فِيهَا". وَلَا يُعْقَلُ أَنْ اللَّهَ يُعِدُّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ لِكَيْ تَسْلِكَ فِيهَا وَلَا يُعَدُّنَا نَحْنُ لِكَيْ نَكُونَ صَالِحِينَ لِلْعَمَلِ. هُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَلْزَمُنَا أَنْ نَتَّيَّدَ بِقُوَّتِهِ. لِكَيْ نَعْمَلَ عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ. وَلَنْ يَبْخَلَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ. وَفِي خُطَابِ بُولُسِ إِلَى مُؤْمِنِي أفسُسَ نَكْتَشِفُ حَقَائِقَ هَامَةً نَوْجَرُهَا فِي ثَلَاثَةِ: (١) إِنَّا الْمُؤْمِنِينَ عَمَلُهُ.. وَاللَّهُ لَا يَعْمَلُ إِلَّا كُلَّ مَا هُوَ حَسَنٌ. فَلَنَحْذَرُ الْخَطِيئَةَ لِأَنَّهُ جَهْلٌ وَحَمَاقَةٌ أَنْ نَرْتَكِبَهَا. وَإِلَّا نَشَوَّهَ الْعَمَلَ الْحَسَنَ الَّذِي عَمَلَهُ اللَّهُ فِيْنَا. (٢) الْمُؤْمِنُونَ لِيَكُونَهُمْ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ سَمَا مَقَامَهُمْ.. وَيَلِيقُ بِهِمْ مُرَاعَاةُ أَنَّهُمْ أَوْلَادُ مَلِكِ الْمُلُوكِ وَرَبِّ الْأَرْيَابِ وَلَا يَجُوزُ لَهُمْ النُّزُولُ إِلَى مُسْتَوَى لَا يَنْتَاسِبُ وَمَرَكْزُهُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. (٣) لَا يُحْسَبُ بَطْلًا مَنْ يَسْتَعِدُّ قُوَّةَ اللَّهِ الْمُؤَهَّبَةَ لَهُ لِمَنْفَعَةٍ شَخْصِيَّةٍ أَوْ مَجْدِ دَانِي.^٣

ثالثاً: الْبُطُولَةُ أَنْ يَكُونَ شِعَارُ الْبِطْلِ "يَنْبَغِي أَنْ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقَصُ".. قَدْ بَسَّأَلُ سَائِلٌ مِنْ أَيِّ نَوْعِيَّةِ اخْتَارَ اللَّهُ أَبْطَالَ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ؟. يُجِيبُنَا عَلَى هَذَا السُّؤَالِ بُولُسُ الرَّسُولُ بِالْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ مِنْ رِسَالَتِهِ الْأُولَى إِلَى مُؤْمِنِي كورنثوس قَائِلًا: "اخْتَارَ اللَّهُ جُهَالِ الْعَالَمِ لِجُزَى الْحُكَمَاءِ. وَاخْتَارَ اللَّهُ ضَعْفَاءَ الْعَالَمِ لِجُزَى الْأَقْوِيَاءِ وَاخْتَارَ اللَّهُ أَدْنِيَاءَ الْعَالَمِ وَالْمُرْتَدِيَّ وَغَيْرَ الْمَوْجُودِ لِئِيْبَطِلَ الْمَوْجُودِ. لِكَيْ لَا يَفْتَخَرَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَمَامَهُ. وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللَّهِ وَبِرًّا وَقِدَاسَةً وَفِدَاءً. حَتَّى كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ مَنْ افْتَخَرَ فَلْيَفْتَخِرْ بِالرَّبِّ". وَجَاءَ بَانَجِيلُ يُوْحَنَّا الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ قَوْلُ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ لِلْفَرِيسِيِّينَ عَنِ الرَّبِّ يَسُوعَ: "فِي وَسْطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. هُوَ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي الَّذِي صَارَ قَدَامِي الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحِقٍّ أَنْ أَحِلَّ سِيُورَ حِذَائِهِ". وَفِي الْغَدِّ نَظَرَ يُوْحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلًا إِلَيْهِ فَقَالَ: "هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ. هَذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ يَأْتِي بَعْدِي رَجُلٌ صَارَ قَدَامِي لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي" وَبِالْأَصْحَاحِ الثَّالِثِ جَاءَ قَوْلُهُ: "يَنْبَغِي أَنْ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقَصُ". إِنَّ اللَّهَ يَخْتَارُ ضَعْفَاءَ الْعَالَمِ لِجُزَى الْأَقْوِيَاءِ. وَيُعَدُّ عَلَى الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْ فَيْضِ نِعْمَتِهِ. وَيَعْمَلُ بِهِمْ عَمَلًا بَطُولِيًّا مُعْجَزِيًّا خَارِقًا لِلطَّبِيعَةِ.^٤

عزيزي القارئ: أَدْعُوكَ لِتَشْتَرِكَ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَشْكُرُكَ فَأَنْتَ قَوْتِي فِي وَقْتِ ضَعْفِي. وَأَنْتَ عَوْنِي فِي وَقْتِ ضَيْقِي. أَشْكُرُكَ لِأَنَّكَ تَسْتَعِدُّنِي أَنَا الضَّعِيفُ. لِإِعْلَانِ خَلَاصِكَ الْعَجِيبِ لِلنَّفُوسِ الْمُحْتَاجَةِ لِبِرِّكَ وَتَحْرِيرِكَ. لِكَيْ لَا تَهْلِكَ بَلْ تَكُونَ لَهَا الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةَ. أَشْكُرُكَ لِأَنَّ قَوْتِكَ فِي ضَعْفِ عَيْدِكَ تَكْمَلُ. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ. مُتَكِلًا عَلَى وَعْدِكَ الصَّادِقِ. يَا مَنْ قُلْتُ: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أخي القارئ العزيز.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر إشعيا ٦: ١ - ٨

^٢ إنجيل متى ٩: ٣٧ - ٣٨

^٣ رسالة بولس الرسول إلى مؤمني أفسس ٢: ١٠

^٤ رسالة بولس الرسول الأولى إلى مؤمني كورنثوس ١: ٢٦ - ٣١ ، إنجيل يوحنا ١: ٢٦ - ٢٧ & ٣: ٣٠